ومعنى (يستمع إليك) : يحضرون مجلسك ويسمعون كلامك وما تقرأ عليهم من القرآن . وهذه صفة من يتظاهر بالإسلام فلا يعرضون عن سماع القرآن إعراض المشركين بمكة . روي عن الكلبي ومقاتل : أنها نزلت في عبد ا ابن أبي بن سلول ورفاعة بن الثابوت والحارث بن عمرو وزيد بن الصلت ومالك بن الدخشم .

والاستماع : أشد السمع وأقواه أي يستمعون باهتمام يظهرون أنهم حريصون علي وعي ما يقوله الرسول صلى ا عليه وسلم وأنهم يلقون إليه بالهم وهذا من استعمال الفعل في معنى إظهاره لا في معنى حصوله . وحق فعل استمع أن يعدى إلى المفعول بنفسه كما في قوله (يستمعون القرآن) فإذا أريد تعلقه بالشخص المسموع منه يقال : استمع إلى فلان كما قال هنا (ومنهم من يستمع إليك) وكذا جاء في مواقعه كلها من القرآن .

و (حتى) في قوله (حتى إذا خرجوا من عندك) ابتدائية و (إذا) اسم زمان متعلق ب (قالوا) .

والمعنى : فإذا خرجوا من عندك قالوا الخ .

والخروج : مغادرة مكان معين محصورا وغير محصور فمنه (إذ أخرجني من السجن) ومنه (يريد أن يخرجكم من أرضكم) .

والخروج من عند النبي صلى ا عليه وسلم مغادرة مجلسه الذي في المسجد وهو الذي عبر عنه هنا بلفظ (عندك) .

و (من) لتعدية فعل (خرجوا) وليست التي تزاد مع الظروف في نحو قوله تعالى (من عند ا) .

والذين أوتوا العلم : هم أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم الملازمون لمجلسه . وسمي منهم عبد ا بن مسعود وأبو الدرداء وابن عباس . وروي عنه أنه قال : أنا منهم وسئلت فيمن سئل .

والمعنى : أنهم يستمعون إلى النبي صلى ا عليه وسلم من القرآن وما يقوله من الإرشاد وحذف مفعول (يستمع) ليشمل ذلك .

ومعنى (آنفا) : وقتا قريبا من زمن التكلم ولم ترد هذه الكلمة إلا منصوبة على الظرفية . قال الزجاج : هو من استأنف الشيء إذا ابتدأه ا ه يريد أنه مشتق من فعل مزيد ولم يسمع له فعل مجرد وظاهر كلامهم أن اشتقاقه من الاسم الجامد وهو الأنف أي جارحة الشم وكأنهم عنوا به أنف البعير لأن الأنف أول ما يبدو لراكبه فيأخذ بخطامه فلوحظ في اسم الأنف معنى

الوصف بالظهور وكني بذلك عن القرب وقال غيره : هو مشتق من أنف بضم الهمزة وضم النون يوصف به الكأس التي لم يشرب منها من قبل وتوصف به الروضة التي لم ترع قبل كأنهم لاحظوا فيها لازم وصف عدم الاستعمال وهو أنه جديد أي زمن قريب ف (آنفا) زمانا لم يبعد العهد به . قال ابن عطية : والمفسرون يقولون : آنفا معناه : الساعة القريبة منا وهذا تفسير المعنى اه . وفي كلامه نظر لأن أهل اللغة فسروه بوقت يقرب منا .

وصيغ على زنة اسم الفاعل وليس فيه معنى اسم الفاعل فهذا اسم غريب التصريف ولا يحفظ شيء من شعر العرب وقع فيه هذا اللفظ .

واتفق القراء على قراءته بصيغة فاعل وشذت رواية عن البزي عن ابن كثير أنه قرأ (أنفا) بوزن كتف . وقد أنكر بعض علماء القراءات نسبتها إلى ابن كثير ولكن الشاطبي أثبتها في حرز الأماني وقد ذكرها أبو علي في الحجة .

فإذا صحت هذه الرواية عن البزي عنه كان (أنفا) حالا من ضمير (من يستمع) أجري على الإفراد رعيا للفظ (من) . ومعناه : أنه يقول ذلك في حال أنه شديد الأنفة أي التكبر إظهارا لترفعه عن وعي ما يقوله النبي صلى ا عليه وسلم وينتهي الكلام عند ماذا . وزعم أبو علي في الحجة : أن البزي توهمه مثل : حاذر وحذر . ولا يظن مثل هذا بالبزي لو صحت الرواية عنه عن ابن كثير .

وسياق الكلام يدل على ذم هذا السؤال لقوله عقبه (أولئك الذين طبع ا على قلوبهم) فهو سؤال ينبئ عن مذمة سائليه فإن كان سؤالهم حقيقة أنبأ عن قلة وعيهم لما يسمعونه من النبي صلى ا عليه وسلم فهم يستعيدونه من الذين علموه فلعل استعادتهم إياه لقصد أن يتدارسوه إذا خلوا مع إخوانهم ليختلقوا مغامر يهيئونها بينهم أو أن يجيبوا من يسألهم من إخوانهم عما سمعوه في المجلس الذي كانوا فيه .

ويجوز أن يكون السؤال على غير حقيقته ناوين به الاستهزاء يظهرون للمؤمنين اهتمامهم باستعادة ما سمعوه ويقولون لإخوانهم : إنما نحن مستهزؤون أو أن يكون سؤالهم تعريضا بأنهم سمعوا كلاما لا يستبين المراد منه لإدخال الشك في نفوس من يحسون منهم الرغبة في حضور مجالس النبي صلى ا عليه وسلم تعريضا لقلة جدوى حضورها .

A E